المحاضرة الثالثة (أسس البحث الاجتماعي،خطة البحث الاجتماعي)

تمهيد :

كشف لنا توضيح المفهوم الحديث للبحث الاجتماعي وبيان خصائصه عن مدى حاجة البحث إلى خطة محدودة ، وإلى تصميم مسبق وتوجيه مبدئي وبينا عند الحديث عن المفهومات الاساسية في تصميم البحث الاجتماعي ، وخاصة مفهوم تصميم البحث ، إن وضع أو تصور هذا التصميم يتوقف على مدي معرفة هدف البحث أو موضوعه أو مشكلته ، وإنه في اللحظة التي يتفرغ فيها الباحث من تحديد مشكلة بحثه على النحو الذى أوضحناه في المحاضرة السابقة يجد من الضروري عليه أن يشرع في تصور خطة البحث أو ينشغل في وضع التصميم المنهجي المناسب ، وهنا نتسأل ما هذه الخطة التي يحتاجها الباحث ؟ وما طبيعتها ، وما مستلزماتها أو متطلباتها ؟ وما وظيفة الخطة وأهمية التخطيط في البحث الاجتماعي ؟ وما أهداف الخطة وما الأسلوب الذى تكتب به ؟ وما العناصر التي تتكون منها ؟

وما الخصائص التي يجب أن تتميز بها ؟ ولما كانت مجموعة هذه التساؤلات تتصل في جملتها بموضوع واحد هو خطة البحث الاجتماعي ، خصصنا المحاضرة الحالية لإلقاء الضوء على هذا الموضوع ، ولمحاولة البحث عن إجابة على هذه التساؤلات قسمنا المحاضرة إلى العناصر التالية :

خطة البحث الاجتماعي

- أولاً: طبيعية خطة البحث الاجتماعي ومستلزماتها.
- ثانياً: وظيفة الخطة وأهمية التخطيط في البحث الاجتماعي .
- ثالثاً : هدف وأسلوب الخطة.
- رابعاً: مكونات الخطة .
- خامساً: خصائص الخطة.

أولاً: طبيعية خطة البحث الاجتماعي ومستلزماتها:

تعد عبارة مشروع البحث Research Proposal أو مسودة البحث أو معالم البحث أو قضية البحث أو الخطة المبدئية للبحث بمثابة تسميات واحدة ومترادفة عرفت في تراث البحث الاجتماعي وأطلقت على ما نتعارف عليه تحت اسم خطة البحث .

وعندما يقوم الباحث بوضع خطة البحث الذى يزعم القيام به ، فإنه في هذا يكون مقدما على القيام بعملية تصميم لهذا البحث ، ولذلك فإن الحديث عن خطة البحث لا ينفصل عن تصميمه .

وسبق أن أوضحنا بالمثال في محاضرة سابقة مبدئياً معنى تصميم البحث ، وذكرنا أننا سنعود إليه مرة ثانية عند الحيث عن خطة البحث ، لنزيد الأمر تفصيلاً ووضوحاً.

وقلنا أنه عندما يصمم المهندس المعماري بناء المنزل فإنه يأخذ في اعتباره كل قرار يكون من الواجب عليه اتخاذه في عملية تشييد هذا البناء كأن يأخذ في اعتباره القرار المتعلق بحجم المبنى وعدد الحجرات والمواد التي تبنى منها وهو يفعل كل ذلك قبل أن يبدأ عملية التشييد الفعلية. والواقع أن المهندس يشرع في هذا التصميم لأنه يرغب في تصور الصورة الكلية للبناء في جملته قبل أن يبدأ في تشييد أي جزء منه ، لأنه يستطيع بواسطة هذه الصورة أن يصحح الأخطاء ويدخل التحسينات والتعديلات اللازمة قبل أن يبدأ البناء ومن هنا كان معنى التصميم وضع خطة ، أو كان

تصميم بعبارة أخري عن عملية اتخاذ القرارات قبل أن يتحقق الموقف الذى سينفذ في هذه القرارات ، كما أنه يعد عملية توقع مقصودة وموجهة تحت ايجاد موقف يخضع للضبط والتحكم.

وليس من الصعب تطبيق هذه الأفكار على البحث الاجتماعي ، إذا يمكن قبل أن نجرى البحث رسم خطة تشتمل على مجموعة قرارات مثل :

١- ما الذى تدور حوله الدراسة وما هو نوع البيانات المطلوبة ؟
٢- لماذا تجري الدراسة ؟
٣- وأين يمكن أن نجد البيانات المطلوبة ؟
٤- وأين أو في أي المجالات سوف تطبق الدراسة ؟
٥- ومتى أو في أي فترة زمنية ستجري الدراسة ؟
٦- وما مقدار المادة أو كم عدد الحالات التي سندرسها ؟
٧- وأي طرق جمع البيانات سنأخذ بها ؟،،،،،إلخ

وهكذا تتكون خطة الدراسة أو التصميم الدراسة من الاعتبارات التي تدخل في اتخاذ القرارات المتعلقة بماذا وأين ومتي وكم وبأي الوسائل....إلخ ، بحيث يفهم من ذلك كله أنه إذا توقعنا كل ما تحتاجه مشكلة البحث وأمكن لنا أن نقرر ما سنفعله مسبقاً بشأنها، فإننا بذلك سنزيد من فرصتنا في التحكم في عملية إجراء البحث.

وكما أن المهندس المعماري لا يستطيع أن يحتفظ بكل قراراته في ذهنه وحتى إذا استطاع ذلك فقد تواجهه صعوبة تصور ارتباط كل هذه القرارات ببعضها فإنه نتيجة لذلك يحرص على تسجيل قراراته مستخدما الرموز والرسومات وما إليها ، بمعنى أنه يسجل ويجد العلاقات المتداخلة بين قرارته إما في صورة رقمية أو بيانية أو في صورة نموذجية تأملية ، ويعتبر النموذج المعماري بمثابة تمثيل بالرسم يوضح العلاقات المتداخلة بين كل القرارات التي قد اتخذت .

ويستطيع المصمم في العلم الاجتماعي بالمثل أن يسجل باستخدام الرموز مختلف قرارات البحث التي يتخذها في صيغة واحدة ، ويطلق على هذا التصور أن البناء الرمزي الناتج والذى يتكون من مفاهيم وتصورات نموذج البحث أو استراتيجية أو مشروع أو خطة البحث كما قد أشرنا في بداية هذا الحديث.

ويعتبر تصميم البحث بمثابة التخطيط المنسق والمنطقي الموجه لمراحل البحث ، أو هو الخطة الشاملة لتتابع الخطوات التي يقصد الباحث إتمامها أو إنجازها لكى يحقق مجموعة أهداف بحثه . وقد ينظر إلى التصميم باعتباره تطبيقا إجرائيا للمنهج العلمي ، إذ يعين هذا التصميم منهج البحث والطرق التي يختار الباحث استخدامها في بحثه ، إلى جانب الفكرة أو الأساس النظري الذى يستند إليه البحث فضلاً عن كل الخطوات الإدارية لتنفيذ هذا التصميم كما تنطوي مسودة التصميم على توقع للطرق البديلة التي يحتمل اللجوء إليها في تنفيذ بعض خطوات البحث .... إلخ ، وهكذا يعتبر التصميم بمثابة وصف تفصيلي لقرارات الباحث ولأسباب كل قرار منها ، والتي يتخذها استناداً إلى معايير العلمية المتفق عليها.

ويفهم مما سبق أن عملية تصميم البحث ووضع خطته عملية تقوم في جوهرها على المعقولية والرشد وتحتاج إلى معرفة فنية متخصصة ، أكثر منها نوعا من الفن يمكن أن يكتسب من خلال الخبرة الشخصية والممارسة ، أو متابعة البحث أثناء قيامه بهذا العمل .

وكما يتلقى المهندسون المعماريون دروساً منظمة في عملية تصميم المنازل ويتسلحون بالمعرفة بخصائص مواد البناء التي يستخدمونها والبناء القائم على الجمع بين هذه المواد ، بحيث تفقد قدرة المهندسين المعمارين ويعجزون عن تحقيق أهدافهم النهائية بدون هذه المعارف المتخصصة.

فإن عملية تصميم البحث تتطلب بالمثل معرفة فنية متخصصة بالطرق البديلة وخطواتها وبمعايير تفضيل طريقة على أخري عند تناول مشكلات البحث، هذا كله إلى جانب القدرة علي الابتكار أيضا التي تتطلبها عمليات تصميم البحث وصياغة المفاهيم أو تصور الطرق والمناهج والأدوات وأساليب تحقيقها ..... إلخ.

ثانيا :وظيفة الخطة وأهمية التخطيط في البحث الاجتماعي :

١- وظيفة خطة البحث ٢- أهمية التخطيط للبحث

وقد يتساءل البعض هنا عن قيمة وضرورة وأهمية ووظيفة تصميم البحث أو وضع خطته ، أو قد يحذر البعض من أن تخطيط مشروع البحث قد يحتاج إلي قدر هائل من الوقت والموارد ، أو قد يرى البعض الثالث أنه يمكن للباحث أن يدخل إلي مشكلة بحثه ويقوم بجمع هذه البيانات حول هذه المشكلة التي يطرحها بحثه .

ولقد كشفت لنا الخبرة العلمية أن جهود البحث غير المخطط لها أو التي تأخذ بتخطيط جزئي غالبا ما تواجه بنوعين من الصعوبات فهي إما أن تنتهي إلى بيانات غير وثيقة الصلة بمشكلة البحث ، أو توصله إلى بيانات كثيرة إلي درجة يرتبك معها الباحث برغم أن هذه البيانات لها صلة مباشرة بمشكلة بحثه . وكثيرا ما يشكو الباحثون غير ذوى الخبرة قائلين (لدينا كل هذه البيانات ولكننا لا نعرف ما الذي نصنعه بها) ، والواقع أن التصميم يقصد به تجنب مثل هذه الصعوبات وغيرها.

١- وظيفة خطة البحث

يعد مشروع البحث أو خطته أمرا جوهريا يتوقف عليه نجاح البحث كما يتوقف بناء المنزل مثلا علي الرسم الهندسي الذي يقدمه المهندس المعماري ،ولا يستطيع أحد البدء في تشيد المنزل من خلال الشروع في حفر بئر في الأرض من أجل تأسيسه ولكن قبل الإقدام علي حفر هذه الأرض علي هذا النحو، هناك تساؤلات كثيرة يجب الإجابة عليها، وقرارات عديدة لا بد من اتخاذها: أي نوع من المنازل تخطط لبنائه؟ هل سيكون من نموذج: منزل من طابقين ، أم مزرعة مواشى ؟ كيف سيكون وضع المنزل علي موقع البناء؟ أين سيكون اتجاه الفتحات؟ وهكذا يمكن أن نستمر في طرح التساؤلات.. ولكل واحد من هذه التساؤلات اهميته النسبية ويجب الإجابة علي واحد منها خاصة قبل أن نتمكن من البدء في تشيد المنزل ، وحتي بعد أن تتخذ كل من هذه القرارات، فلا يمكن أن نبدأ الحفر في الحال لأنه لا تزال هناك جوانب أولية أخرى .

فالمهندس المعماري يرسم خطة البناء كله، ويوضح بنسب معلومة بالضبط أين سيكون وضع كل جزئية تفصيلية ولا يترك أي شيء للصدفة، طالما كان كل ذلك ممكنا ، وهذا ما يفعله بالمثل كاتب مشروع أو خطة البحث .

ففي القسم من مشروعه الذي يكون عنوانه البيانات ومعالجتها مثلا يشير بدقة إلى كل تفاصيل البيانات ومعالجتها إحصائيا وتفسيرها ، ومع استمرار المماثلة بعمل المهندس المعماري ، فإنه يقوم بعد ذلك برسم المسقط الرأسي للبناء، الذي يوضح الوجه الخارجي لكل الجوانب ويحدد بدقة كيف سيبدو البناء عند الانتهاء منه ، وهذا ما يفعله الباحث بدقة في رسم معالم الدراسة المقترحة في ذلك القسم المخصص لمشروع البحث .

ذلك لأنه في بناء المنزل بطريقة أخرى غير التي فرغنا من وصفها ودون سند من التصميم ، يحتمل أن تزيد التكاليف ، والتعرض للخطأ ويفتح مجالا للتخبط، كما يترتب علي هذه الطريقة التي تستند علي المحاولة والخطأ، صرف مبالغ كبيرة من المال ، وهناك أيضا في إجراء البحث حاجة في استثمار الوقت والجهد والمال، الأمر الذى يصعب تحقيقه بدون تصميم مخطط بوضوح ، لا يمكن أن تترك إجراء البحث للنزوة أو للصدفة ، وإنما يجب أن تتخذ قرارات هادفة وحكيمة ، وينظر بعين الاعتبار وبعناية إلي تفاصيل الإجراءات الهامة ويوضع التصميم قبل أن يشرع في أي عمل لجمع البيانات .

وينبغي أن يتم التفكير في كل خطوة هامة من خطوات العملية الشاملة للبحث ، ويجب أن تحدد كتابة وبوضوح كما أنه لا بد من إخضاع كل ذلك لنوع من التقييم والدراسة الأولية قبل البدء الفعلي في هذا العمل ، وتتمثل وظيفة مشروع البحث في إتاحة الفرصة لهذه الموضوعية والتفكير النقدي .

٢- أهمية التخطيط للبحث :

يعد التخطيط الواضح والمنسق أمرا جوهريا لإنجاح البحث علي كل مستوي وأهمية التخطيط لجهود البحث لا تقل عن أهمية البحث عن سبب المرض أو وصول الإنسان للقمر . وبرغم أن هذه المشروعات الأخيرة أكثر تعقيدا وتطورا عما قد تقوم بتخطيطه ، فإن هذا لا يغير الحقيقة القائلة بأن مشروع البحث محتاج إلى تخطيط منسق وشامل قبل أن يبدأ النشاط الفعلي ، ويعتبر مشروع البحث جوهر كل عمليات تخطيط البحث ، ويعد المشروع أمرا جوهريا لكل جهد يبذل في البحث مثلما يعتبر الرسم الهندسي أساسا لتشيد البناء فكل منهما عبارة عن خطة أساسية للعمل وكل منهما يتناول المشكلات ، ويحدد الموضوع ، والتعرف علي البيانات والمادة التي يجب استخدامها في حل الموضوع ويرسم معالم المنهج، الذي سيفاد به من المادة وسيتم به معالجة البيانات وتفسيرها .

ولمشروع البحث أهمية كبري من حيث أنه يمد البحث وغيره من المتهمين بالبحث بالفرصة لتقييم التصميم في جملته قبل إنفاق أي جهد ووقت أو استثمار أي مال في المشروع ، كما أن الفحص الواعي لمشروع البحث سيكشف عن قدرة الباحث علي التفكير في تفاصيل بحثه وسيوضح ما إذا كان قد استطاع تصور أبعاد هذه المهمة وما إذا كان قد أخذ في اعتباره المشكلات التي تنطوي عليه عملية التوصل إلي البيانات وما يلى ذلك من معالجة وتفسير .... ويحول مشروع البحث الجيد دون الوقوع في الخطأ، والشعور بالإحباط المترتب علي الجهد الذى أسئ توجيهه في بحث غير مفهوم، وكما تستطع النظر إلي الرسوم الهندسية وتوضح لنا ما إذا كان البناء المقترح سيكون كافيا للهدف الذي وضع من أجله ، فهكذا ومن خلال النظر بعناية إلى مشروع البحث يمكن أن يقول لنا الباحث ما إذا كانت مناهج البحث التي أشار إليها والبيانات التي سوف يوفرها ستؤدى إلي الحل المحتمل لمشكلته .

وتعتبر القدرة علي بناء مشروع بحث فعال بمثابة مهارة يتزايد الطلب عليها كما أن المقدرة علي عرض الأفكار من الاهمية بمكان مهما كان الميدان الذي يتخصص فيه الباحث . ويساعد كتابة مشروع البحث علي تركيز التفكير علي التفاصيل الهامة والحاسمة ، وعلي فصل القضايا المحورية وعلي الاهتداء إلي أفضل إجراء يمكن القيام به في حل المشاكل .

<u>ثالثاً : هدف وأسلوب البحث وخطته :</u>

يهدف مشروع البحث إلى عرض المشكلة المراد بحثها بوضوح وبدون غموض ، ومناقشة الجهود السابقة للبحث التي قام بها باحثون آخرون لتناول مشكلات ذات صلة بمشكلات البحث أو مشتركة معها ، وتحدد بدقة البيانات الضرورية لحل المشكلة ، وتشير إلي الكيفية التي ستعالج بها البيانات وتفسيرها علي وجه الخصوص . ويجب أن يشير مشروع البحث كذلك إلي أسباب الدراسة ، ويقدم فكرة عن الباحث ، ويشير إلي قائمة أساسية بالمراجع الصادرة في ميدان مشكلة البحث .

فلا يجب أن يكون مشروع البحث بمثابة عناصر محكومة بغير نظام ويعوزها الترابط . وإنما يبدأ مشروع البحث بقضية واضحة المعالم تعبر عن المشكلة المراد بحثها ، قضية تقف علي قدميها ولا تحتاج إلي أية دعامات تفسيرية . ولا تكون هناك ضرورة لمقدمة أو تمهيد أو توضيح للأسباب التي أصبح من أجلها الباحث مهتما بالمشكلة، أو يشعر بالحاجة الماسة إلى دراستها .

وينبغي أن نستبعد كل ما ليس من شأنه أن يسهم مباشرة في تناول المشكلة وحلها . ويشبه مشروع البحث الرسم الهندسي من حيث أنه واضح واقتصادي، ولا يحتوى إلا علي كل ما هو ضروري ويزيد علي ذلك من التفاصيل .

وليس الرسم الهندسي عملا فنيا، وكذلك مشروع البحث لا يعد من قبيل الإنتاج الأدبي، وذلك لأن مهمتهما ليست فنية ، وإنما يهدفان كلاهما إلى توصيل الفكرة بوضوح، وكما تعرض الرسوم الهندسية فكرة التشييد مع الاقتصاد في الخطوط والدقة في القياس ، فهكذا مشروع البحث يعرض المشكلة مع الاقتصاد في الكلمات والدقة في التعبير ويشير إلى الكيفية التي يجب بها إدارة مشروع البحث وانجازه ولا يعطى الفرصة للتعبير الفني أو التكوين الأدبي ولا التعبيرات اللفظية الزائدة عن الحد .وإنما على العكس تماماً ، إن مشروع البحث عموماً يكتب بأسلوب صارم ومعبر عنه بطريقة غير مثمرة ،ويتيح الفرصة للتعبير عن الأفكار والمعتقدات والإجراءات في قضايا واضحة ودقيقة ويتيح لكتابه فرصة توضح إلى أي حد يستطيع التعبير بوضوح ودقة عن مشكلة البحث .

وكيف يستطيع أن يصف بدقة الأسلوب العلمي في معالجة البيانات وبأي طريقة يستطيع تحقيق الصدق المنطقي لنتائجه . وعادة ما يتم تنظيم أفكار البحث من خلال أسلوب يعرف باسم تحديد المعالم ، وحيث توضع في هذا التنظيم الأفكار الأساسية قريبة من بعضها ثم توضع الأفكار الثانوية والأقل في الأهمية إلى جانب بعضها ويعطى لكل فكرة رقم يلى السابق لها ويوضح مستوى الاهمية النسبية لكل فكرة وإن كان لهذا الأسلوب عيوبه أو حدوده فهو لا يسمح إلا بالتعبير عن مجموعة من الكلمات أو بجملة مختصرة للدلالة على الفكرة .

وإن كان أسلوب الكتابة التقليدي للفقرات يسمح لنا باتباع طريقة العناوين التي يستطيع القارئ فهمها مباشرة بحيث يمكن تنظيم الأفكار بالاعتماد على طريقة العناوين والذى يبدأ بالعنوان المحوري الذى يعبر عن المشكلة الأساسية ، ثم العناوين الجانبية يلها عناوين الفقرات الفرعية .... وهكذا.

<u>رابعاً : مكونات خطة البحث</u>

هناك محاولات عديدة في تراث البحث الاجتماعي حاول بها أصحابها وضع تصميمات للبحوث متباينة وتحديد العناصر التي يجب أن ينطوي عليها التصميم المنهجي للبحث ، وكلها محاولات ، لها قيمتها في هذا الصدد . ولقد اتضح بناءً على هذه المحاولات أن هناك طرقا كثيرة يمكن الاعتماد عليها في تصميم وتحديد العناصر المكونة لكل خطة بحث .

ولكن لوحظ أن هذه المحاولات كانت تشترك فيما بينها في اعتمادها على معايير البساطة والمنطقية ، والمحافظة على سير الباحث في الطريق الصحيح المؤدي إلى بلوغ الهدف في تحديد عناصر الخطة وتنظيم مشروع البحث . وعلى ضوء هذه المعايير ، يتصور البعض عملية تصميم البحث باعتبارها تمر بعدة مراحل متعاقبة ، تمثل تتابع العمل الذى يلتزم به الباحث في ضوء مسودة التصميم هي :

١- تبرير البحث باعتباره حلاً للمشكلة .
٢- تاريخ المشكلة
٣- الاطار التصوري للمشكلة
٤- أهداف البحث
٥- المجتمع المدروس
٦- البيانات المطلوب جمعها
٧- إجراءات جمع البيانات
٨- تحليل البيانات التي تم جمعها
٩- تنفيذ البحث

وليس معنى هذا أن تصميم البحث الذى يشتمل على هذه المراحل هو وحده التصميم الصحيح أو الفريد ، وإنما يمثل تصميم البحث حلا وسطاً تمليه اعتبارات عملية كثيرة في مقدمتها بنوعية المشكلة التي يقوم ببحثها . والخلفية النظرية والمنهجية للباحث وما إليها.

ولهذا عندما يقدم الباحث تصميمه للأخرين في صورة مشروع بحث مكتوبة ، فإنه قد لا يلتزم بهذه الخطوات أو العناصر أو حتى بالتتابع الذى جاءت به . ومن هنا قد تختلف البحوث في درجة تركيزها على المراحل المتباينة لتصميم أو خطة البحث ، فقد يتطلب بعضها إعطاء الإطار التاريخي قدراً بسيطاً من الاهتمام ، بينما قد يكون لهذا الاطار في بحث آخر دوراً حاسماً في حل مشكلته ، ومع أخذ هذه التحفظات في الاعتبار يمكن أن نعتمد على هذا التصور لمراحل عملية تصميم البحث أو مكوناته ونعالج كل مرحلة منها بالتفصيل على النحو التالي :

١- التبرير Justification:

تبدأ عملة التصميم بمحاولة الباحث إيجاد صلة وثيقة بين البحث الذى يقترحه وبين النظرية ذات الصلة أو مشكلة التطبيق والبحث الذى يبدأ بعيداً عن هذه المحاور لا يصل إلى نتائج ذات قيمة نظرية أو تطبيقية ، اللهم إذا حدث ذلك اتفاقاً أو كانت له نتيجة غير مباشرة ومهمة الباحث في هذه المرحلة هي أن يحدد ما إذا كان البحث الذى يقوم به ضرورياً في الواقع لحل مشكلة ما تواجه التطبيق أو مدى أهميته في حل بعض المشكلات النظرية في نطاق تخصصه .

وتجعل مرحلة التبرير في عملية تصميم الباحث يحتاط من العمل في بحث ليس له فائدة محتملة في حل مشكلة أو غاية أو بلوغ هدف أياً كان أو من القيام بعمل لا يدفع له أي مقصد أو غاية .

٢- التاريخ Literature:

(أ) البيانات المتوفرة على مراحل زمنية والتي تكشف عن الاتجاهات التي صارت فيها المشكلة المدروسة .

(ب) الجهود السابقة في صياغة هذه المشكلة وتوضيح أبعادها ونتائج بحوث الأخرين في تقويم وسائل استخدمت سابقاً لتحيق أهداف مماثلة . ويمد الاستعراض التاريخي الباحث بالمعلومات عن كل ما هو معروف لكي يؤرخ لمشكلة الطرق المستخدمة في تناولها ويفيد مثل هذا الاستعراض في حماية الباحث من الاجابة على تساؤلات سبق أن توفرت عنها فعلاً اجابات من قبل أو على تساؤلات ليس هناك ضرورة لدراستها.

ومن هنا ، فإن المعلومات المتجمعة تمد أيضا الباحث بخلفية أو أساس لتحديد سير المراحل المتبقية من التصميم .

٣- الإطار التصوري:

تساعد الخبرة التي اكتسبها الباحث بنفسه من المرحلتين الاثنتين السابقتين لعملية تصميم البحث ، أن يقوم ببناء إطار منطقي لبحثه المقترح. وينبغي أن يتضمن مثل هذا الإطار كل من القضايا التي يسلم بها كمعطيات أو باعتبارها قضايا معروفة (وتمثل المسلمات التي يستند إليها هذا البحث المتوقع) وتلك القضايا التي ينظر إليها على أنها غير معروفة (ومن ثم فهي تتطلب برهان من خلال البحث).

وسيعين هذا الاطار :

أ - المتغيرات المعتمدة والتي تشمل هدف البحث .

ب- المتغيرات المستقلة والتي تضم وسائل تحقيق الأهداف.

ج- الصلات العلية أو السببية التي تربط بين هذين النوعين من المتغيرات وبالمتغيرات المحتملة الأخرى التي تدخل جانباً في التحليل ، ويحدد الإطار التصوري الحدود المنطقية للبحث ويمثل الدليل الذى يمكن به للباحث أن يحكم على ما هو ذا صلة ببحثه أو ما هو غير ذلك .

٤- أهداف البحث

كما يمكن الإطار التصوري الباحث من صياغة أهداف البحث الذى يخطط له . ونعنى بمصطلح أهداف البحث القضايا المحددة التي تمثل موضوع البحث . وتعد هذه القضايا بمثابة عبارات تتعلق بالعلاقة بين الأهداف والوسائل ذات الصلة بمشكلة البحث والتي تترتب مباشرة على الاطار التصوري وتأخذ صورة تساؤلات تحتاج إلى اجابة أو فروض مطلوب التحقيق منها ، وتحدد الوجهة التي يسير فيها البحث وكذلك تشير أهداف البحث إلى الوحدات التي تنصب عليها الملاحظة ، وما الذى يجب ملاحظته بصدد هذه الوحدات ؟ وكيف تتم عملية الملاحظات من أجل هذه تحقيق هذه الأهداف ؟ وتتبلور هذه القرارات في الخطوات الباقية من تصميم البحث .

٥- جمهور البحث :

ويتطلب تصميم مرحلة جمهور البحث اتخاذ أربع قرارات :

أ- تعيين وحدة الملاحظة.

ب- تصميم جمهور الوحدات الذين سيتم ملاحظاتهم.

ج - تنبي إجراء لاختيار أو ترتيب الوحدات من أجل الملاحظة.

د - تحديد عدد الوحدات التي ستلاحظ .

وينبغي على الباحث في انجاز هذه المرحلة أي يميز بين جمهور البحث أو المجموع الفعلي من الأشخاص والأهداف أو الأحداث الذين يخضعون للملاحظة ، وبين الجمهور الهدف Target Population الذين سيتمكن الباحث من أن يطبق عليهم فعلاً أدواته في البحث أو ملاحظاته وغالباً ما لا يكون هناك فرق بينهما وهذا يتوقف على درجة التماثل بينهما والتي تحدد المدي الذى يمكن به أن تنطبق نتائج ملاحظات جمهور البحث على جمهور الهدف.

٦- البيانات :

ينبغي على الباحث أن يعين البيانات التي يلزم جمعها من جمهور البحث ويتم تحديد البيانات من خلال التعرف على المفاهيم الأساسية التي يشتمل عليها منطوق أهداف البحث أو بعد بلورة تعريفات إجرائية على هذه المفاهيم.

وتأخذ هذه التعريفات شكل المتغيرات ، والتي تشير بدورها إلى البيانات المطلوب جمعها . وتفيد هذه المجموعة من التحديدات المفصلة في حماية الباحث من جمع بيانات غير ضرورية أو ليس لها صلة في الموضوع في النهاية .

٧- جمع البيانات .

ومع تحديد البيانات التي يجب جمعها ، ينبغي على الباحث أن يقرر فيما بعد الاجراءات المناسبة لعملية جمع البيانات ، مع أخذ ظروف البحث في الاعتبار ويجب عليه أن يصف بالتفاصيل الأساليب اللازم استخدامها والادوات وتعاقب الخطوات التي يجب اتباعها في استخدام هذه الطرق والأدوات وإذا كان لا بد من استخدام أدوات معينة ، يجب أن يقوم بوصف طرق بناء هذه الأدوات ، وسوف يتوقف على تصميم إجراءات جمع البيانات لدرجة كبيرة ثبات وصدق البيانات التي تجمع.

٨- تحليل البيانات :

وعندما يتم مراجعة البيانات التي يتم جمعها على الباحث في نفس الوقت أن يحدد الاجراءات المناسبة لتحليلها ، وهنا عليه خاصة أن يقرر كيف سيتم تصنيف البيانات وتنظيمها في مجموعات من المتغيرات المحددة ؟ وكيف يتم التأكد من

وجود نوع من العلاقة بين المتغيرات ؟ ولاتخاذ مثل هذه القرارات ، يتوقع الباحث بعض النتائج التي تتطلبها أهداف البحث وعلى هذا الأساس يختار الاجراءات التي يحتمل أن توصل إليها . وفى الحقيقة تمثل هذه الخطوة لتحليل البيانات اختباراً حقيقياً لتصميم البحث والذى يتطلب أيضا من الباحث أن يتوقع حدود الاستنتاجات التي سيستخلصها .

٩- إدارة وتنفيذ البحث :

في اللحظة التي يعرف فيها الباحث الجمهور المدروس ، وطبيعية البيانات التي يجب جمعها وأنواع الاجراءات المستخدمة في جمع وتحليل هذه البيانات هنا يتوفر للباحث أسس لاتخاذ سلسلة من القرارات الإدارية .

فعلى الباحث أن يقدر المال والوقت والأفراد والتنظيم الذى سيتطلبه البحث المقترح. ويلاحظ أن طبيعية هذه القرارات هي التي ستحدد ما إذا كان هذا البحث ملائم أو معقولا وهى التي تعين لنا الفوائد تعود علينا من بحث مخطط مثل هذا الأمر الذى لا يمكن التوصل إليه بدونه ، على أنه يجب أن تزيد هذه الفوائد على التكاليف الإدارية لأجراء هذه الدراسة وهذا لا يمنع أحياناً من أنه قد تفوق تكاليف التوصل إلى نتائج البحث كثيراً الفوائد المترتبة عليه .

وقد ينظر إلى هذا العدد الفعلي من مراحل التصميم المشار إليها سلفا على أنه ينطوي على نوع من التعسف. وقد يختلف الباحثون ذو الخبرة وهيئات التمويل عن بعضهم الأخر في هذا الصدد.. وهكذا ، قد يجمع بعضهم مثلا بين المرحلتين الثالثة والرابعة (الإطار التصوري ، وأهداف البحث) في مرحلة واحدة. وقد يجمع غيرهم بين المرحلتين (٧ ، ٨) ونعنى جمع البيانات وتحليل البيانات في مرحلة واحدة ، وبالمثال قد يختلف الباحثون فيما بينهم في تأكديهم النسبي على المراحل المتباينة ولكنهم في النهاية يعتبرون المراحل من ٤ إلى ٩ (أهداف البحث وجمهور البحث. وتحديد البيانات وجمعها وتحليلها ،وإدارة البحث) وهى الجوانب الفنية في البحث يعتبرونها بمثابة جوانب جوهرية في تصميمه .

وقد يحذف الكثيرون المراحل الثلاث الأولى (التبرير ، والتاريخ ، والإطار التصوري) غير أن هذا الموقف الأخير في انتقادنا ينطوي على غلطة خطيرة ، لأننا نرى أن لهذه المراحل الثلاث الأولى من تصميم البحث أهمية خاصة بالنسبة للبحث العلمي ، وذلك لأن الفشل في تقديم تبرير للبحث معناه تعريض الفائدة المحتملة للبحث المقترح للخطر.

وعدم استعراض تاريخ مشكلة البحث قد ينجم عنه إعادة اكتشاف الباحث لخبرة موجودة بالفعل ، كما أن القيام بالبحث دون إطار تصوري يعنى العمل بدون معيار للصدق والذى سيجعل من الصعب في النهاية على الباحث أن يميز بين نتائج البحث الصادقة لتحقيق أهدافه وتلك غير الصادقة .

وكما أشرنا سلفا أن الترتيب الذى قدما به مراحل التصميم قد يختلف عن الترتيب الذى تنظم به مشروعات البحث الأخرى ، غير أن التتابع الذى استخدمناه يعد بمثابة التتابع العلمي والفعلي المعمول به عند التخطيط للبحث. وعندما يقوم الباحث بكتابة مشروع البحث يمكن له أن يعيد ترتيب هذه المراحل ليتناسب ما تمليه عليه الهيئة الممولة والتي ستلتزم به أو تحقق المستويات المطلوبة .

وعموماً يجب أن يكون التصميم ملائماً للوقت المتاح للبحث والطاقة والمال المخصصين له ، ومتمشياً مع إمكانية توافر البيانات اللازمة ، وتعاون الأشخاص أو التنظيم الاجتماعي الذى نلجأ إليه للحصول على البيانات المطلوبة .

خامساً : خصائص الخطة

وقد يفهم البعض من عرض مكونات الخطة ومراحل تصميم البحث على النحو السابق أن خطة البحث ما هي إلا سلسلة من الخطوات المحددة والمتعاقبة أو المتراكمة ، الأمر الذى قد يضفي عليها طابع والاستاتيكية ، غير أن المفهوم الحديث للبحث وخطته بالتالي قد أوضح لنا الطبيعية الدينامية التي يمتاز بها الباحث . فمن أهم خصائص خطة البحث وتصميمه

أنها تعد في واقعها عملية دينامية وبمعنى أنها من ناحية قابلة للتغيير Tentative ، ومن ناحية أخري تنطوي على تفاعل وتأثير متبادل بين عناصرها ، أو مراحلها ، أو مكوناتها :

١- إذ يعتبر تصميم البحث أو خطته أمراً قابلا للتغير باستمرار ، وتمر هذه الخطة بتعديلات وتغيرات كلما تقدمت الدراسة وتعمق الاستبصار بموضوعها حيث أنه كلما تقدم العمل في هذه الدراسة ظهر إلى النور جوانب جديدة لم تكن معروفة منذ البادية وحدثت ظروف جديدة لم تكن متوقعة وتكشفت علاقات وثيقة ، ولذلك كان من الضروري تغيير الخطة كلما استعدت الظروف ذلك.

. لذلك قرر البعض أن جمود وتعقيد وعدم مرونة الخطة يمكن أن يقضى تماماً على فائدة البحث في جملته . كما أن الانغلاق يمثل خطر يهدد التصميم ، ولذلك ينبغي أن يكون الباحث متفتحاً ومدركاً للحاجة إلى إدخال تعديلات على تصميم البحث أثناء تنفيذيه ، ومن هنا كان البحث الذى أحسن تصميمه على النحو الذى يسمح بالتعديل أكثر احتمالا لتحقيق الأهداف من غيره الذى يفتقر إلى مثل هذا النوع من التصميم .

٢- ويعتبر تصميم البحث أو خطته بمثابة عملية دينامية تنطوي على تفاعل وتأثير متبادل بين عناصرها أو مراحلها :

فمثلاً تتبع منطقياً المراحل الثلاث الأولى – التبرير – التاريخ – والإطار التصوري – الواحدة منها تسبق الأخرى أو تسهم في عملية تعيين أهداف البحث في المرحلة الرابعة كما تنطوي عملية التطبيق الفعلي للخطة على عمليات تفاعل هام أو تتداخل أو تأثير متبادل . فمثلا، يترتب على استعراض تاريخ المحاولات السابقة لمعالجة المشكلة المدروسة بالضرورة تعديل في الطرق البديلة والمحدودة فى الخطوة الاولى .

وبالمثال ، عندما يحاول الباحث بلورة الإطار التصوري فسوف يطرأ على فهم الباحث للمشكلة (في المرحلة الأولى) بالضرورة بعض التعديل – لذلك من المفيد أن ننظر إلى هذه المراحل الثلاث باعتبارها مجموعة فرعية ونقوم بتنفيذها على المشروع المكتوب على أنها عملية فرعية واحدة وهكذا قد يكتب الباحث بعض الملاحظات فقد على مبررات البحث مبنية على اكتشافه بطرق عمل بديلة ومعقولة

ويستمر بدلا من ذلك في عرضه التاريخي لمحاولات التي عالجت المشكلة والتي توضح ما تنطوي عليه من علاقات محتملة قبل أن يبدأ في كتابة عباراته التبريرية واستعراضه التاريخي الاطار التصوري كل في صورته النهائية
وبالمثال، هناك قنوات تأثير متبادلة هامة وتكون عمليات فرعية بين المراحل المتبقة من عملية التصميم ، إذ يشير تعيين أهداف البحث في المرحلة الرابعة إلى الوحدات التي تمثل موضوع البحث ، وإلى خصائص هذه الوحدات التي يجب ملاحظتها وإلى طريقة التي تتم بها هذه الملاحظة وكفية تطبيق منهج البحث .

وهكذا ، يترتب على العبارات الموضحة لأهداف البحث في المرحلة الرابعة خطوطاً إرشادية نحو جمهور الدراسة في المرحلة الخامسة وتحدد البيانات التي نحتاج إلى جمعها (المرحلة السادسة) وإلى إجراءات جمع هذه البيانات (المرحلة السابعة) وكيفية تحليل البيانات (المرحلة الثامنة) وكل هذه الوجبات العملية ينظر إليها عادة باعتبارها تكون تصميم البحث الفعلي ، ولكن هنا ثانية تؤثر كل واحدة من هذه المراحل المتتابعة في غيرها بحث تسهم في تعديل العبارات الموضحة لأهداف البحث (فى المرحلة الرابعة) .

فمثلاً ، في تحديد جمهور الدراسة ، يجب أن يجد الباحث مجموعة من وحدات الملاحظة والتي يكون من السهل فعلا إجراء الملاحظة عليها وهذا الجمهور الذى يمكن التواصل إليه قد يختلف من بعض الجوانب عن ذلك الذى قصد إليه في العبارات الموضحة لأهداف البحث . ولكن طالما كان هو الجمهور الذى يمكن التواصل إليه والذى ستنطبق عليه النتائج فإن هذه الاختلافات يجب أن تؤثر في المرحلة الرابعة أو يكون لها نتائجها على هذه المرحلة بحيث تعدل العبارات الموضحة لأهداف البحث طبقا لذلك .

وبالمثل في الخطوة السادسة عندما تتم صياغة المفاهيم التي تنطوي عليها العبارات الموضحة لأهداف البحث بطريقة إجرائية في صورة متغيرات يمكن قياسها أو ملاحظتها فإنها تأخذ معاً أكثر دقة وأحياناً أكثر اختلافا بعض الشيء عن تلك المعاني التي تنطوي عليها صورتها الأصلية . وهذه الاختلافات قد يكون لها أثارها المنعكسة على المرحلة الرابعة ، حيث تعدل العبارات الموضحة لأهداف البحث طبقاً لذلك وعندما يتم في المرحلة السابعة تصميم إجراءات جمع البيانات ،

قد تتطلب ظروف معينة مثل خصائص وحدات الملاحظة والأخذ بأساليب ملاحظة معينة من شأنها أن تحدد الجمهور الذى يتم ملاحظته ، والبيانات التي تجمع ، ولذلك فإن هذه التعديلات لها تأثيرها المرتد على المرحلة الرابعة ، حيث تعدل أهداف البحث طبقاً لذلك وهناك بين المراحل (٦ ، ٧ ، ٨) تأثيرات متبادلة من نوع خاص ، إذ يعتمد التحديد الإجرائي للمفاهيم التي نحتاج إلى ملاحظتها أو قياسها والتي أخذ بيها في المرحلة السادسة ، تعتمد لدرجة كبيرة على الإجراءات التي نأخذ بها لجمع هذه البيانات ، ذلك القرار الذى يتخذ في المرحلة السابعة ، وبالمثال سوف تؤثر القرارات التي تم التوصل إليها في المرحلة الثامنة (تحليل البيانات) على الصورة التي يتم بها جمع البيانات في المرحلة السابعة. وتحدث كل هذه الخطوات بعض التعديلات في الأدوات المستخدمة . كما يجب أن يكون لها تأثيرها المنعكس على المرحلة السابعة ، حيث يمكن إدخال تعديلات أخرى طبقاً لذلك . والخلاصة أنه برغم أن الباحث قد يعالج قرارات المراحل الثلاث بترتيب ، إلا أن نتائجه يجب أن ينظر إليها باعتبارها قابلة للتعديل حتى ينتهى من اتخاذ قراراته في هذه المرحلة الفرعية ، وهكذا ينصح بتنفيذ المراحل (٦ ، ٧ ، ٨) باعتبارها وحدة فرعية .

وتقف المرحلة التاسعة عموما باعتبارها خاتمة عملية تصميم البحث ، معتمدة على القرارات المتراكمة التي اتخذت في كل المراحل السابقة . وحتى هنا ، على أية حال لا نجد استثناء : فعندما تكون الموارد المتاحة لإجراء البحث ثابتة ومعروفة منذ البداية ، فإن هذه الحقيقة يجب أن يكون لها تأثير مرتد على المرحلة الرابعة لدرجة أن الجوانب الإجرائية من تصميم البحث في المراحل (٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) يمكن أن تتأثر بالقيود المالية وعلى أي الأحوال وبعد ما يتم تقدير تكاليف إجراء البحث في المرحلة التاسعة ، فإن هذا التقدير يجب أن يكون له أثاره المرتدة على المرحلة الأولى كاختبار نهائي لمبررات البحث المقترح ، ويحدد ما إذا كانت تكاليفه تتجاوز فوائده المتوقعة أم لا .

ولذلك ، من المهم علي الباحث أن يجعل التصميم مرنا في كل مرحله من مراحل هذه العملية ، وبدلا من أن يضع عبارات نهائية توضح كل مرحله منها ، يجب علي الباحث الواعي أن يقتصر في كل قسم علي الخطوط المبدئية. وبعد ذلك واستناد إلي المرحلة الأخيرة، يمكن له أن يعود ويعين القرارات ويعدلها لتناسب بعضها الآخر في تصميم نهائي متكامل. ويلاحظ أن هذه المراحل التسع والتي قصد بها أن تكون موجهات عامة قد تم التعبير عنها بمصطلحات عامة لكي تناسب معظم مشروعات البحث وإن لم يكن كلها.

ويضطر الباحث أن يحدد توقعاته للظروف الفعلية التي يحتمل أن تواجهه في كل مرحلة من مراحل البحث عند وضع مسودة التصميم، ومن ثم يعتبر البحث في جوهره بمثابة تقرير وضع مبدئيا ليوضح هذه القرارات الكثيرة قبل أن تواجهنا هذه الظروف الخاصة. ولكن حتى الباحث الأكثر خبره لا يستطيع أن يتنبأ بكل صعوبة يحتمل أن تنشأ في أثناء البحث المخطط، وهذا ما يفسر أهمية الدراسة الاستطلاعية لتصميم البحث أو التطبيقات علي نطاق ضيق التي يمكن من خلالها أن يتعرف الباحث علي العقبات والتي ستزيد-لا محالة- من استبصاره إذ تمكن المعلومات التي توفرها دراسة استطلاعية واحدة الباحث من أن يعدل تصميم بحثه أو يعيده.

ومع هذا ، وحتى عندما يكون البحث مناسبا وقابلا للتطبيق في النهاية فإن الباحث سيكون مضطرا إلى اتخاذ بعض القرارات والتي برغم العناية الفائقة بها لا يمكن له أن يتنبأ بأهميتها.

ولهذا يعد تصميم البحث الذي أحسن كتابته بمثابة نتاج لقدرة كبيرة علي الملاحظة والقراءة والتشاور والتفكير في المشكلة المدروسة وفي أسلوب تناولها وقتا طويلا.

أسئلة المحاضرة الثالثة

س١/ ((هناك محاولات عديدة في تراث البحث الاجتماعي حاول بها أصحابها وضع تصميمات للبحوث متباينة، هذه المحاولات كانت تشترك فيما بينها في اعتمادها على معايير البساطة والمنطقية))

عدد/ عددي مكونات خطة البحث مع شرح ثلاثة منهم

س٢/ تحدثي / تحدث باختصار عن خصائص خطة البحث الاجتماعي؟